مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق



# تراجم الأعيان

## من أبناء الزمان

تأليف

**الحسن بن محمد البوريني**

١٠٢٤ / ١٦١٥

**الجزء الأول**

تحقيق

الدكتور صلاح الدين المنجد

دمشق

١٩٥٩

# المقدّمة

# تمهيـــد

## مصادر ترجمة البوريني

هذه هي المصادر التي تفيد في الترجمة للبوريني ورجعنا اليها .

١ً – مصادر كتبها البوريني نفسه

١ – « تراجم الأعيان من أبناء الزمان »

وهو الذي ننشره أول نشرة . تحدّث فيه كثيراً عن نفسه وشيوخه ومعاصريه وعصره .

٢ – « منتخبات البوريني »

كنّاش مهم كان البوريني يسجّل فيه ما ينتقيه أثناء مطالعاته من كتب شتّى ، وما كان يقع له من الحوادث اليومية ، وما كان ينظم من الشعر ، وما كان يرد اليه من رسائل ...

٣ – « ديوان شعره »

أحسن مصدر لدراسة البوريني الأديب . وهو يوضح نواحي كثيرة من سيرته ، وصِلاته مع معاصريه [1] .

٢ً – مصادر أُلّفتْ في عصر البوريني

١ – الغزّي ، النجم ( – ١٠٦١ هـ ) ، في « لطف السمر وقطف الثمر في تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر » . مخطوط .

---

(١) انظر مخطوطات هذه التواليف ، في كلامنا على ثقافة البوريني ، تحت .

## ترجمة جديدة للبوريني

ولد الحسن بن محمد البوريني في صفورية سنة ٩٦٣ هـ / ١٥٥٦ م ، من أمٍّ صفورية وأبٍ بوريني . وصفورية وبورين قريتان في فلسطين [١] . فقضى أيام طفولته في قرية أمّه . فلما بلغ سنّ التمييز أخذه أبوه إلى زاوية القرية ليتعلم بها القرآن . وكانت أسرة عبد الهادي ذات شأن في القرية ، قد أقامت فيها زاوية لنشر العلم ودراسة القرآن . فقرأ الصبيّ القرآن على شيخها الشيخ نبهان من المبتدأ الى الختام [٢] .

فلما بلغ العاشرة أو أتمّها سنة ٩٧٣ هـ/١٥٦٦ م تحوّل به أبوه محمد الى دمشق[٣] . وكانت دمشق مقصداً لأهل فلسطين يلجأون اليها كلّما ضاق بهم العيش أو نكبهم الزمان . آوتهم عندما هاجروا اليها فارّين بدينهم من الصليبيّين في أوائل القرن السادس الهجـري [٤] ، وآوتهم عندما أخرجوا من ديارهم وغصب اليهود بلادهم عام ١٩٤٨ م . وتردّدوا اليها ما بين النكبتَيْن ، نكبة الصليبيين ونكبة الاسرائيليين ، يلتمسون فيها العيش أو يطلبون العلم . فليس عجباً أن يرحل محمد البوريني ، أبو الحسن ، اليها ، ومعه زوجه وابنه ، فينزلون في محلّة ميدان الحصا ،

---

(١) تقع صفورية على بضعة أميال الى الشمال من مدينة الناصرة . وتقع بورين على بضعة كيلو مترات جنوب نابلس ، غربيّ الطريق الذاهب الى القدس . ( انظر خريطة فلسطين وجنوب سورية . اشرة ايليب – ستانفورد ) .

(٢) تراجم الأعيان ص ١٢٠

(٣) المصدر السابق ص ٣٠٤

(٤) انظر أخبار هذه الهجرة في القلائد الجوهرية لابن طولون

خارج دمشق من الجنوب ، ويعمل الأب منجداً ثم عطّاراً ، ويدفع ابنه ليقرأ القرآن في مسجد المحلّة [1] .

وقرأ الحسن القرآن في جامع المحلّة ـ وهو جامع منجك ـ على الشيخ قريحة [2] ، وهو شيخ لا ندري الكثير عنه . كما قرأ الحساب على محمد التنوري [3] . ثم ما لبث أن انتقل من جنوب دمشق إلى شمالها : من ميدان الحصا الى الصالحية ، ومن جامع منجك الى المدرسة العمرية . وكانت الصالحية مركزاً للمقادسة . وكانت المدرسة العمرية نفسها أنشأها فلسطينيٌ من بني قدامة . فاتخذ الحسن بها حجرة [4] ، وأخذ يقرأ على الشيخ ابراهيم بن الأحدب ، ـ نزيل دمشق ، وشيخ حلب في الفرائض والحساب ـ « النزهة » في الحساب ، وبعض مقدمات النحو والفرائض [5] . ثم قرأ ، بعد سنة ٩٧٥ هـ ، على إمامهـا الشيخ أبي بكر الذباح « الأذكار » للنووي [6] .

ويبدو أنّ أباه كان يدفعه الى القرآن . فحمله ذات يوم إلى شيخ المقرئين بدمشق ، وإمام الجامع الأمويّ ، الشيخ أحمد الطيبي ، ليقرأ عليه . ويحدّثنا البوريني عن اللقاء الأوّل مع الشيخ فيقول :

---

(١) ذكر الغزّي في لطف السمر أنه نزل في محلّة ميدان الحصا عند مجيئه ، وأرسل ابنه يقرأ القرآن في مسجدها . لكنّ المحبّي ـ المتوفى بعد قرابة قرن من وفاة البوريني ـ يذكر أن البوريني نزل في ميدان الحصا سنة ٨٩٠ ـ أي في السابعة عشرة من عمره ـ بعد عودته من القدس . ونعتقد أن هذا خطأ من المحبي . فالغزّي كان مُعاصراً للبوريني ولعله أدرى بأموره .

(٢) الغزّي ، لطف السمر

(٣) تراجم الأعيان ( ترجمة محمد التنوري )

(٤) المحبي ، خلاصة الأثر ٢/٥١

(٥) تراجم الأعيان ، ص ٣٠٤ . ويذكر البوريني أنه لازم الشيخ الأحدب ما يزيد على خمس سنين

(٦) المصدر السابق ص ٢٧٩

« . . . فنظر إليّ ( الشيخ ) نظر الشفقة . وقال لأبي : احرص على ولدك هذا فإنه سيصير من أهل العلم . . . فقبل والدي يده . ثم إنه سأل والدي عن بلدته . فقال له : أنا من قرية بورين ، وهي ملاصقة لأرض نابلس . فقال الشيخ لأبي : أنت حينئذٍ من بلادنا . فقال له والدي : أنتم من أيّ قرية ؟ فقال له : نحن من الفندقوميّة [١] . وتعارفا . وأمرني بملازمته . فشرعتُ في القراءة عليه من أوّل القرآن العظيم الى آخر سورة النساء تجويداً لأبي عمرو . وشرعتُ مع ذلك في قراءة « المنهاج » الى باب « صلاة المسافر » [٢] .

ويذكر المحبي أنّه حصل بدمشق سنة ٩٧٥ هـ قحط ، فانتقل البوريني مع أبيه الى بيت المقدس فقضى فيه الى حدود سنة تسع وسبعين [٣] . ولا يذكر ابن جمعة شيئاً عن هذا القحط الذي ذكره المحبي ، على شدّة عنايته بذكر أشباه هذه الأمور [٤] . ثم إنّ البوريني نفسه يذكر في تراجمه أشخاصاً اجتمع بهم بدمشق خلال المدة التي ذكر المحبي أنه كان فيها في القدس . فقد اجتمع بالعيثاوي سنة سبع وسبعين [٥] . كل هذا يدفعنا الى الشك بالتاريخ الذي ذكره المحبي . والمؤكد أنه سافر الى القدس . فهو يذكر أن سفره كان مع والده للزيارة . وأنه عاد منها سنة ٩٨٠ هـ [٦] .

---

(١) تقع في الشمال الغربي من نابلس ، في منتصف الطريق بينها وبين جنين .
(٢) تراجم الأعيان ص ١٠ - ١١
(٣) المحبي ، خلاصة الأثر ٢ / ٥١
(٤) الفلو ولاة دمشق في العهد العثماني ص ١٦
(٥) تراجم الأعيان ، ص ٤٦
(٦) المصدر السابق ص ٤٣ يقول : « ولما قدمتُ مع أبي من زيارة بيت المقدس في سنة ثمانين وتسع مئة »

وسكن بعد عودته بالخانقاه السُمَيْساطية وأخذ يتصل بكبار الشيوخ اتصل بالطيبي الصغير أحمد بن أحمد وكان على قوله « أفقه من أبيه ». وكان فقيهاً محدثاً مفسّراً مقرئاً عروضياً حاسباً فرضيا . يقول البوريني : « وأكثر ما قرأتُ على هذا الصغير [1] . . . قرأتُ عليه الارشاد للمولى اسماعيل . وكان يهتم بمطالعته ، ولازمتُه سنين عديدة ليلًا ونهارا . وأحبّني وجذبني اليه . وكان يصحبني في نزهته . . وكنت أبيت عنده [2] . . »

وكذلك اتصل بمفتي دمشق وخطيبها العيثاوي . « ولما قدمتُ مع أبي من زيارة بيت المقدس سنة ٩٨٠ هـ حضرتُ اليه طالباً قراءة الفقه عليه . فقال لي : اقرأ المنهاج . فقرأناه . وكانت القراءة بالمدرسة الظاهرية [3] »

واتصل بشيخه العماد الحنفي سنة ٩٨٤ « قرأتُ عليه شرح التلخيص المختصر ، وشرعتُ في الشرح المطوّل . . . وكان سبب اتصالي به والقراءة عليه أنه كان يوماً في صحن الجامع الأموي بين العشاءين . فتباحثنا مع بعض الفضلاء في إعراب شيء من كلام العرب ، واختلفنا في شيء من اصطلاحات الإعراب . فتحاكمنا اليه ، وهو سائر بصحن الجامع المذكور فيما اختلفنا فيه . . وطال الكلام معه في تحقيق ذلك . فقال لي : أين مكانك ؟ فقلت : في الخانقاه الشميساطية . فقال لي : إن أردتَ السكنى عندنا في الناصرية الجوّانية كنّا في مساعدتك علماً ومعيشة وغير ذلك . فأجبتُه الى سؤآله ، وجئتُ اليه في اليوم الثاني الى المدرسة الناصرية الجوّانية ، فأخلى لي حجرة ، وهي الوسطى من الصف الشرقي وكانّسها لي ففرشتُها . وشرعتُ أقرأ عليه الشرح المختصر على التلخيص للمولى السعد التفتازاني . . ولم أزل اقرأ عليه الكتاب الى أن أتممتُه . . .

(١) تراجم الأعيان ص ١٦

(٢) المصدر السابق ص ١٧

(٣) المصدر السابق ص ٤٣ – ٤٤

وكان اتمامه في النصف من شعبان سنة أربع وثمانين وتسع مئة بالجامع الأموي . وحضر الختم طائفة من الأفاضل [١] »

وثمة شيخ كبير اتصل به ايضاً هو اسماعيل النابلسي « قرأتُ عليه في منزله عند باب الجامع الأموي ( الجنوبي ) ، شرح جمع الجوامع في الاصول للمحلّي ، وحضرتُ عنده شرح المفتاح للجرجاني في جامع درويش باشا [٢] » .

مضى البوريني يشدو ألوان العلم ، دائباً على القراءة والتحصيل ، حتى نجده يتصدّر سنة ٩٨٨ هـ بقعة للتدريس في الجامع الأموي ، يملي فيها دروساً فقهيّة وغير فقهيـــة . ويبدو أنه كان موفّقاً في دروسه ، يحدثنا هو عن ذلك فيقول :

« وكنت أدرّس الفقه على مذهب الامام الشافعي عند شبّاك الكاملية بالحائط الشمالي . فوقف (عبد الرحمن الفرفوري ) لحظة يسمع إلقائي . فلما ذهب الى بيته قال لولديْه : رأيتُ اليوم رجلًا يدرّس في الجامع الأمويّ في فقه الشافعيّ ، وأظنه قدسيّاً ، ما رأيتُ أفصح من لهجته ولا أبلغ من عبارته » [٣] .

وكانت دروسه هذه سبباً لاتصاله بأديب فارسي اسمه حسين الحافظ الشيرازي حضر دروسه في الأموي سنة ٩٨٨ فاتصل الودّ بينهما « فكان صاحبي وصديقي ، وأنيسي ورفيقي . . . وألفتُ هذا الرجل الى أن كنت أزوره فأمكث عنده في حجرته ثلاثة أيّام بلياليها ليلًا ونهاراً ، على المذاكرة والمحاضرة » . ولم يدع البوريني هذه الصداقة تمضي دون

---

(١) المصدر السابق ( ترجمة العماد الحنفي )
(٢) تراجم الأعيان ( ترجمة اسماعيل النابلسي )
(٣) تراجم الأعيان ( ترجمة عبد الرحمن الفرفوري )

فائدة « فتعلّمتُ منه لسان الفارسية ، وكنتُ اعرفه قبل صحبته في الجملة ، لكني ما استكملتُ تعلمه إلاّ منه [1] . »

ولما بلغ التاسعة والعشرين من عمره ، سنة ٩٩٢ تزوج . وكان زواجه ثمرة اتصاله بشيخه العيثاوي . يحدثنا عن ذلك فيقول :

« . . اطلع على أبي طالبٍ للإحصان ، فقال لي : عندي حَصان وهي أخت أم أولادي ، وهما بنتا الشيخ محمود الصناديقي . فإن رُمْتَ أن تكون عديلي كما أنك خليلي فاعزم على ذلك . فأجبتُه الى سؤآله ، وعقد نكاحي على أخت زوجته . وكان ذلك من فضله وفي بيته . وبنَيْتُ بها في سنة اثنتيْن وتسعين وتسع مئة . وجعل لي عرساً عظيما ، وكان بي في الكلفة رحيما ، لا يكلّفني سوى الطاقة ولا يجعل في مطلوب صَعْب عليّ عاقة ، بل كان يزنُ من كيسه ، مظهراً البشاشة لا التعبيسة . وكان العرس في بيته القديم في حكر كمال الدين ، ثم سكنتُ في أهلي بمحلّة النحّاسين » [2] .

ويحدثنا الغزّي أنه حُملت اليه هدايا كثيرة في عرسه هذا . وأنّ الخواجا فخر الدين بن زريق اتجر له بما حُمل اليه حتى نما . وكان ابن زريق صديقاً للبوريني « يقوم بأكثر مصرفه قبل أن يلي الوظائف » [3]

وكان زواجه خيراً وبركة . اذ ما لبثت الوظائف أن توالت عليه . توفي أواخر سنة ٩٩٣ شيخه اسماعيل النابلسي . وكان يدرّس في الدرويشية فطلبها البوريني من قاضي القضاة مصطفى افندي ابن بستان « فوجهها اليّ مع كثرة الطالبين لها . » [4] وأقرأ شرح منهاج النووي للمحقق المحلّي .

---

(١) المصدر السابق ( ترجمة حسين الحافظ الشيرازي )

(٢) تراجم الأعيان ، ص ٤٤

(٣) لطف السمر

(٤) تراجم الأعيان ( ترجمة اسماعيل النابلسي ) ، وانظر لطف السمر

وفي سنة ٩٩٤ تولّى خطابة جامع جرّاح . « فكان يخطب من انشائه » [١] وتوفي شيخه الطيبي الصغير فولي تدريس العادلية الصغرى . ثم وجّهت اليه الناصرية الجوّانية ، فنزل عن العادلية [٢] . وبدأ نجمه يلمع ، وصيته يذيع ، فدرّس في الفارسيّة ، والكلاسة ، ووعظ بالسليمانية [٣] ، وفتحت له الشاميّة البرّانية صدرها ليدرّس بها « وأخذتها بشرط واقفها لأنها لأعلم علماء الشافعيّة [٤] » .

وما كاد القرن الحادي عشر يهلّ حتى كان البوريني ملء الأسماع . أقبل عليه الحكّام ، وقدّمه القضاة والأكابر والأمراء ، لفضله ولسانه ، وهيئته وطيلسانه . وتقدّم في التدريس والمناصب والمجالس . لا يكون في مجلس « إلاّ كان بلبله [٥] » . ورزق القبول عند الخاصّة والعامة . وخالط أهل الأدب وخالطوه ، ولجأ اليه الناس يتوسطونه لدى القضاة والحكّام ، وعرض عليه العلماء والأدباء تواليفهم وأشعارهم يسألونه رأيه فيها . فكان يتوسّط لمن لجأ اليه ، ويقرّظ التواليف والرسائل والأشعار إذا عُرضت عليه . وصار مفتياً للشافعية . وأوتي في الوعظ أكبر نصيب فبرع فيه وأجاد [٦] . كلّ هذا التقدّم والجاه مع السعة والثراء . بعد الفقر والاملاق . حتى إنّ أباه انقطع عن عمله ، وأخذ يحضر دروس ابنه . وكان الحسن بأبيه برّاً [٧] . يعظّمه أنّى كان ويقبل يده [٨] .

(١) لطف السمر
(٢) لطف السمر
(٣) المحبي ٢ / ٥٢
(٤) تراجم الأعيان ( ترجمة عبد اللطيف المحبي )
(٥) الغزي ، لطف السمر
(٦) المحبي ، خلاصة الأثر ٢ / ٥٣ نقلاً عن البديعي
(٧) الغزي ، لطف السمر
(٨) المحبي ، خلاصة الأثر ٢ / ٥٢

وأتيح للبوريني أن يرحل ثلاث رحلات ، الأولى في سنة ١٠٠٨ هـ الى طرابلس . فرحّب به علماؤها ونزل عند أحد أمرائها [١] .

والثانية الى حلب سنة ١٠١٧ هـ . وجّهه اليها أهل دمشق لإخبار الوزير مراد باشا بما صدر من علي بك ابن جانبلاد وما وقع بينه وبين العسكر بدمشق من خلاف . فنزل في المدرسة البهرامية ولقي كثيرين من علماء حلب [٢] .

وألّف بعد عودته من طرابلس الرحلة الطرابلسية ، وبعد عودته من حلب الرحلة الحلبيّة .

أمّا الرحلة الثالثة فكانت الى الحجاز سنة ١٠٢٠ هـ . فقد بلغ من الشأن أن وُلّي – وهو شافعي – قضاء الركب الى الحجّ في تلك السنة [٣] . وكان لا يتولّى ذلك إلا حنفي ، إذ كان المذهب الحنفي هو مذهب الدولة الرسمي .

وكان ازدياد فضله ، وعلوّ شأنه ، وزيوع صيته ، وتقدمه ، من أسباب كثرة حُسّاده . فحسده سخفاء العلماء والأعيان . والحسد خُلق ليكون بين هؤلآء . طعنوا عليه بالاستجداء ، وإدمان الراح لمخالطته الأمراء ، وبذاءة اللسان ، ونسبوه الى النفاق ونسيان مَنْ أحسن اليه . وربما أوقعوه في مكروهات من القول والفعل ، وازدروا به ، وسعوا في توهينه ، على أنه كان كثير التيقظ لمكائدهم . وما ذلك كله إلا لأنهم ما أدركوا ما بلغه من ثراء وغنى ، ولا استطاعوا غشيان مجالس الأمراء والكبار ، ولا أوتوا سعة ثقافته ، وحلاوة حديثه ، وعذوبة

---

(١) تراجم الأعيان ( ترجمة يوسف بن سيفا )
(٢) المصدر السابق ص ٢٦٤
(٣) تراجم الأعيان ص ٢٣٣ ، ولطف السمر

منطقه ، وتوقد ذكائه ، ولا عرفوا كيف تكتسب النفوس وتستدرّ الصِلات [١] . وقد اعترف النجم الغزّي بذلك فقال : « وكان أكثر مَنْ يؤذيه يؤذيه حسداً لفضيلته » .

بقي البوريني متألّق النجم حتى توفي سنة ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م وقد تخطّى الستين من عمره . فشُيّع تشييعاً حافلاً . صلّى عليه شيخ الاسلام أحمد العيثاوي ، ودُفن بمقبرة الفراديس . ورثاه كثيرون ، وكان أحسنهم رثاءً تلميذه مفتي الشام عبد الرحمن العمادي [٢] .

---

(١) المحبي ، خلاصة الأثر ٢ / ٥٥ . وقد ذكر من مكائد علماء الشام له أن بعض الوزراء أقبل على البوريني واتخذه نديم مجلسه ، وكان يُبالغ في توقيره وتعظيمه . فقصدوا توهينه عنده . فاجتمعوا يوماً في دار الحكومة والبوريني معهم ، فأرسلوا الى والده يتطلبوه الى الوزير بناء على أنّ الوزير استدعاه . وكان رثّ الهيئة في زيّ عوام السوقة . فلم يشعر البوريني إلاّ وأبوه مقبل . فنهض من مقعده مُسْرِعاً واستقبله وقبّل يده . ثم جاء الى الوزير وقال له : حلّت عليكم البركة بقدوم والدي ، فإنه بركةُ هذا الوقت ، الصوّام القوّام ، الكذا ، الكذا . فنهض الوزير وقبّل يده ، وأجلسه . وبالغ في تعظيمه . فانقلب أعيان أولئك ولم يعودوا الى مثلها . اهـ .

(٢) المحبي ، خلاصة الأثر ٢ / ٦٠ ، وقد ساق بعض رثائه . وكذلك ذكر الغزّي ما قيل فيه من الرثاء . وقد تخاصم علماء عصره بعد وفاته على وظائفه خصاماً شديداً . وأصاب بعضهم الأذى . ونظم النجم الغزي في هذه الواقعة قصيدة عينية تدلّ على أخلاق العلماء في ذلك العصر ( انظر : لطف السمر ، والمحبي ٢ / ٦٢ ) .

## ثقافة البوريني

كان القرن الحادي عشر عصر نهضة علمية في دمشق ، هيّأها رجال عاشوا في أواخر القرن العاشر . فأتيح للبوريني أن يُوافق هذه النهضة العلمية وأن يكون من رجالها ، ويأخذ عن بُناتها كالشيوخ من آل الطيبي والغزّي ، والنابلسي ، والعيثاوي ، والمنقار ، والعماد وغيرهم . وكان كلٌّ منهم إماماً في فنّه . فأفاد منهم جميعاً . أتقن القراءات ، والفقه الشافعيّ ، والأصول ، والفرائض . وبرع في العربيّة وآلاتها ، وقرأ كتب التاريخ والادب ودواوين الشعراء ، ونظم ونثر . ثم تعلّم الفارسيّة حتى صار يتكلّم بها – على قول النجم الغزّي – كأنه أعجمي . فأتاح له ذلك أن يطلع على الأدب الفارسي ويقتبس من معانيه في شعره العربي . ثم أضاف الى ذلك معرفة اللغة التركية . وكانت يومئذ لغة الدولة والوزراء والأمراء . وقلّ أن نجد عالماً فقيهاً – حتى في عهود الازدهار – يتقن اللغات الثلاث : العربية والفارسية والتركية ، معاً ، وأن يحيط بالأدب والشعر والتاريخ .

كان البوريني – كما يبدو من تصفّح آثاره – كثير القرآءة والمطالعة . وكان يسجّل ما يروقه من قرآءاته في كنّاش اتخذه لذلك . ولم يفقد هذا الكنّاش . وهو يدلّنا على الكتب التي كان يقرأها والشعراء والاغويين الذي كان يلتقط منهم . ففي الكنّاش نقول من تاريخ الذهبيّ ، وتاريخ بغداد ، وعيون التواريخ لابن شاكر ، ووفيات الأعيان لابن خلّكان ، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ، وتاريخ حلب لابن العديم . وفيه ذكر لحياة الحيوان للدميري ، وكتاب الفلاحة لابن وحشيّة ، والمفتاح للسكّاكي .

وفيه منتخبات شعرية لأكابر الشعراء المعروفين من مثل : المتنبي ، والشريف الرضيّ ، وأبي فراس ، وعليّ بن الجهم ، وديك الجن ، وأبي تمّام ، وابن سكّرة الهاشميّ ، وابن الخياط ، وابن سناء الملك ، ومحمد بن أميّة ، والعرجي ، وابن خفاجة ، والبهاء زهير ، والسَريّ الموصليّ ، والمعتمد ابن عبّاد ، وكشاجم ، وابن المستوفي الاربلي ، ومسلم بن الوليد ، وابن حمديس الصقلّي ، والعبّاس بن الأحنف ، وأبي بكر بن الجنّان المريسي ، ومهيار ، وابن هانىء الأندلسي ، وابن عُنَيْن ، والشاب الظريف ، وابن منير الطرابلسي ، وأبي العتاهية ، ولبيد ، والأرّجاني ، وابن دُريد .

وكذلك نجد فيه نقولاً من العقد الفريد ، ومقامات الزمخشري ، ورسائل القاضي الفاضل ، وخريدة العماد .

فالذي يقرأ هذه التواليف وينتقي منها ، ويُصاحب هؤلاء الشعراء ويذوق شعرهم ، لا بدّ أن يؤتى ثقافة واسعة رفيعة ناعمة . وقد ذكر المحبي أن البوريني حفظ من الشعر والآثار والأخبار والأنساب ... ما لم ير قط مَنْ يحفظ مثله ؛ وأنه حفظ علوماً أخرى كاللغة والنحو والسير والمغازي ، ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً . فأتاحت له هذه الثقافة الملوّنة أن يتصدّر المجالس فيكون بلبلها . وجعلته طلاقة اللسان ، وفصاحة العبارة ، وجودة الحفظ ، وعذوبة المفاكهة ، وحسن الحديث أميراً للمجالس ، مجالس العلماء والأمراء والأدباء والعوام . ولا شك أن ثقافته الأدبية والتاريخية أبعدتاه عن جمود الفقهاء وعن سماجات بعضهم . وجعله ذكاؤه الحادّ يعرف أهواء الناس ، وضعف نفوسهم ، فعامل بعضهم بطول اللسان ، وعامل الآخرين بالمديح والإطراء . فخافه أولئك ، وأحبّه هؤلاء . والنفوس البشرية تخاف السبّ وتعشق المديح . وقد كسب البوريني بلسانه الأصدقاء والأعداء ، كما كسب الصلات والأموال . على أنّ مديحه

الناس كان أكثر بكثير من ذمّه لهم . حتى صار مدحه عند حاسديه موضع تندّر وسخرية ، وحتى نُسب الى النفاق للكبار .

ولعلّ إقامته بدمشق ساعدته على استثمار ثقافته . فهو فلسطينيّ الأصل . ودمشق معروفة منذ القديم بحب الغريب عنهـا . شهد بذلك ابن جبير وابن بطوطة وغيرهما . وكم فتحت صدرها للغرباء عنها ، وكم لقي هؤلاء فيها من التكريم والتقديم ما لم يلقه أبناؤها .

وقد صبغت تلك الثقافة الواسعة صاحبنا بصبغة العالم الحق . يذكر الغزّي أنّ البوريني كان « منصفاً في البحث ، معترفاً لأهل الفضيلة ، ليس في مباحثته غيظ ولا حقدٌ ولا تغليظ ، بل مباحثتُه نظيفة لا تخلو من فائدة . » وهذه صفات المثقف العالم حقاً . وبرغم سعة ثقافته كان « لا يملّ المذاكرة مع العلماء » ، وبرغم ذيوع صيته « كان يرجع الى شيخه » في كثير من المسائل .

★

ماذا كانت الثمار العلميّة لهذه الثقافة ؟ لقد أخذ كثيراً من الكتب ومن الشيوخ فماذا أعطى ؟

١ً ــ لقد أُتيح له أن يُقرىء كثيراً من الطلاّب أصولاً هامة . فنحن نرى من خلال تراجم الأعيان أنه أقرأ « مقامات الحريري » و « الشرح المختصر للتفتازاني على متن التلخيص » و « الآجرّوميـة » في النحو ، و « شرح ابن عقيل » على ألفية ابن مالك ، و « شرح الشذور » لابن هشام ، و « متن العزي » في التصريف و « جمع الجوامع » في الأصول للمحلّي ، و « شرح منهاج النووي » في الفقه ، و « شرح المواقف » للجرجاني ،

و « شرح الحسام الكاتي » للايساغوجي ، و « الغاية القصوى » في الفقه للبيضاوي و « الأربعين النووية » ، وغير ذلك .

وهذه الكتب التي أقرأها تدلّنا على أن البوريني كان يُقصد للأدب واللغة وعلومها ، وأنه كان يُقرىء ذلك أكثر من إقرائه سائر العلوم من فقه وأصول ومنطق ... وهذا ما يؤكد قول الغزّي من أن بضاعة البوريني في الفقه كانت مزجاة وأن براعته كانت في العربية وغيرها من المعقولات .

٢ً ـ وأُتيح له أن يؤلّف في التفسير والأدب والتاريخ تآليف مختلفة .

أما في التفسير فقد ألّف حاشية على أنوار التنزيل للبيضـــاوي . ولم أهتد إلى وجود أيّ نسخة منها .

أمّا في الأدب فقد ترك لنا

آ ـ شرحاً لديوان ابن الفارض سمّاه « البحر الفائض في شرح ديوان ابن الفارض » . وقد طبع مرّات ، ومنه نسخ مخطوطة كثيرة (١) .

ب ـ ديوان شعر . ذكر المحبّي انه « سائر متداول بين الناس » وما يزال مخطوطاً (٢) .

ج ـ رسائل ادبيّة مختلفة . منها رسالة « مزج الصواب بالمجون في حلّ سلسلة المجنون » وهي شرح قصيدة القرم حشدية لحسين الشامي . ولا تزال مخطوطة (٣) .

---

(١) انظر طبعاته في معجم المطبوعات ٦٠٢/١ ، ومخطوطاته في بروكلمن . واضف اليها ثلاث نسخ مخطوطة في مكتبة الأوقاف ببغداد ذكرها أسعـــد طلس في الكشّاف ص ١٦١ .

(٢) منه نسخة في برلين برقم 1079 ؛ ونسخة ثانية في كوبريلي برقم 1257 ( انظر كوبريلي زاده محمد باشا كتبخانه س ٨١ ) .

(٣) منها نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٥٠٣٥ ادب .

ومن رسائله ايضاً رسالة أرسلها الى أسعد بن معين الدين التبريزي . ومنها نسخة مخطوطة في غوطا (١) .

ورسالة في الاعتذار عن معاقرة الراح ذكرها البديعي ونقلها المحبي عنه (٢).

هذا ما عرفناه من رسائله ، وهي كثيرة على قول المحبي .

ج – منتخبات شعرية ونثرية . في كناش تقدم الكلام عليه (٣) .

وليس هنا مجال التحدث عن البوريني الأديب بأكثر من هذا .

أما في التاريخ فقد ترك لنا تاريخه المسمى « تراجم الأعيان من ابناء الزمان » وما يزال مخطوطاً . ونحن ننشره اول مرة . ورحلتين الى طرابلس وحلب وهما مفقودتان .

---

(١) انظر فهرس مخطوطات غوطا . رقم ٤٤ / ٢٣

(٢) في خلاصة الأثر ٢ / ٥٣ قال البديعي : « ومما وقفت عليه من آثاره هذه الرسالة جواباً عن رسالة أرسلها اليه بعض أحبابه ، موشحة بعتابه ، يذكره تراضع الكاس في أيام الايناس فأجابه ... »

(٣) محفوظ بدار الكتب بالقاهرة برقم ٤١٥٩ أدب . ونرجح أنه ترك كناشات أخرى لم تصل الينا .

## البوريني المؤرخ

# وكتابه تراجم الأعيان

كانت ثقافة البوريني التاريخيّة نتيجة مطالعات خاصة في كتب التاريخ والسّير والأنساب . وكان ينتقي من مطالعاته فوائد تاريخية كثيرة سجّلها في كنّاشه الذي وصل الينا ، أخذها من ابن خلّكان ، وابن العديم ، والخطيب البغدادي ، والذهبي ، وغيرهم .

وقد أثّر المؤرخون القُدامى في البوريني ، فكانت تواليفهم سبب تأليفه « التاريخ » . فهو يحدّثنا في مقدمة تراجم الأعيان أنه لما رأى ابن كثير وابن الأثير وابن خلّكان وابن شدّاد وأبي شامة وابن حجر قد ألّفوا بعلم الأخبار ، ودوّنوا في الكتب محاسن الأخيار ، بعثه ذلك على تأليف كتاب يجمع فيه من كان موجوداً من الأعيان ، من ابتداء ولادته ، سنة ٩٦٣ هـ الى قبيـل وفاته . فهو اذن مقلد من سبقه من المؤرخين وسالك على آثارهم .

وكان لصاحب الدفاتر السلطانية بدمشق أمين افندي الدفتري الفضل في حثّه على تنفيذ رغبته في التأليف . فبدأ بتدوين كتابه سنة ١٠٠٩ هـ ، أي بعد عودته من رحلته الطرابلسية .

ترجم البورينيّ لمعاصريه . وقد حدّد لهذه التراجم زمناً . بدأه من سنة ولادته وهي سنة ٩٦٣ هـ وظلّ يضيف اليها الى سنة وفاته ، وهي

سنة ١٠٢٤ [١] . فالمدّة الزمنية التي ضمّت المترجم لهم كانت نحواً من ستين عاما ، بعضها في القرن العاشر وبعضها في القرن الحادي عشر . فتراجم الأعيان يتمّم ، من هذه الناحية ، الكواكب السائرة ، ولطف السمر للغزّي ، وخلاصة الأثر للمحبي ، وكتباً أخرى .

أما من ناحية البلاد فلم يقف البوريني عند دمشق ، بل ترجم لرجال من مصر والمغرب ، ومكة واليمن وحضرموت ، وفلسطين وحلب ، وإيران وتبريز واستامبول . فكتابه يشمل رجالاً من العالم الاسلاميّ كله ، لا دمشق وحدها .

ولم يقصر البوريني تراجمه على طائفة دون أخرى . فترجم للعلماء والفقهاء والأدباء ، كما ترجم للملوك العثمانيين والمغرب ومكة واليمن ، وترجم للقضاة والوزراء والأمراء الأتراك الواردين على دمشق . فكتابه يجمع أصنافاً من الناس مختلفة .

ورتّب التراجم على حروف المعجم في الأسماء . ونلاحظ أنه أهمل الترتيب في أسماء الآباء . فإن علم المنشأ والوفاة ذكرهما وما شكّ فيه تركه وأهمله .

وذكر أنه شرط على نفسه أن لا يذكر من أوصاف الناس إلاّ الوصف الحسن المحمود . وقد خرج عن شرطه هذا في أحايين كثيرة .

ولا ندري عدد الرجال الذين ترجم لهم البوريني على الضبط . فعددهم يختلف باختلاف نسخ المخطوطات التي وصلت الينا . على أنه بلغ في نسختي الهند والمدينة معاً مئة وأربع عشرة ترجمة .

*

(١) صحّح ما ذكره السيد رشاد عبد المطلب في مقاله عن تراجم الأعيان ( مجلة معهد المخطوطات . المجلد ٤ ( ١٩٥٨ ) ص ١٥٣ ) أن البوريني ترجم لمن عاصره من تاريخ ميلاده في سنة ٩٦٠ ﻫ الى سنة ١٠٤٠ . فهذا خطأ .

ليست التراجم بالشيء الجديد الذي ابتكره البوريني . فقد سبقه في هذا الفن كثيرون كابن خلكان الذي بلغ فيه الذروة في التحرير والتنقيح ، وكالذهبيّ والصفديّ وابن حجر والسخاوي وابن طولون الدمشقي . وتبعه كثيرون ايضاً كالغزّي والمحبي والمرادي فكيف كانت طريقته في الترجمة ؟

لقد تفرّد البوريني بشيءٍ ما نحسب أن أحداً شاركه فيه ، هو أن شخصيّته كانت مركز التراجم كلّها . فلقد ترجم على الأغلب لأناس عاصروه . خالطهم وخالطوه ، وكاتبهم وكاتبوه ، وحدّثهم وحدّثوه . فسجّل الأمور التي رآها وسمعها وعاش فيها وخصّ بالعناية منها ما اتصل بشخصه هو . فكان يترجم لهم لكنّه في الحقيقة يترجم لنفسه ايضا . كل ترجمة تنعكس فيها صورتان . وكلّما كانت صلاته بالمترجم له قويّة متينة رأينا الصورتين واضحتين . لذلك كانت تراجمه ، في رأينا ، مملوءة بالحياة ، قريبة الى النفس ، رغم السجع المملّ أحيانا ، أكسبَتْها ( أنا ) حرارة ودفئاً . على حين نجد تراجم الماضين من المؤرخين جافة أحياناً ، باردةَ ثقيلة الظلّ أحياناً أخرى . نقرأها بمشقة ولا نحسّ أيّ اتصالٍ بيننا وبينها .

ويكاد المرء يخيّل اليه ، في أحيان كثيرة ، أنه يقرأ في تراجم البوريني مذكرات شخصيّة عن الناس والحوادث .

فقد كان البوريني لا يكتب الترجمة مرة واحدة ، بل مرّات ، وعلى فترات متباعدة . ومن هنا جاء تشبيهنا إيّاها بالمذكرات . لقد بدأها في سنة ١٠٠٩ كما ذكرنا . وكان يضيف الى بعض تراجمهـــا ما يستجدّ من الحوادث أو الأخبار المتّصلة بصاحبها ، كما كان يضيف تراجم جديدة لمن كان يعرفه أو يتّصل به . ونجد كثيراً من تاريخ الحوادث المثبتة ، أو الأخبار المضافة مثبتاً .

ويبدو أنه كان يكتب بعض تراجمه من رأس القلم كما يقولون وعفو الخاطر ، لذلك لم يلتزم السجع فيها . ثم عاد فنقحها ، فحذف وأضاف وسجع . وتقدّم لنا مخطوطة الهند – التي سنصفها – النماذج الأولى للتراجم قبل الحذف والتنقيح .

وتتفاوت التراجم في سعتها وضيقها ، حسب صلة المترجم له بالمؤلف وشأنه . فنجد تراجم زادت على عشر صفحات . وأخرى لا تكاد تتم صفحة واحدة .

★

صوّر البوريني في تراجمه رجال عصره ، كما صوّر عصره أيضا . فهي تراجم غنيّة سجّلها شاهد عيان . وقد ساعده على تصوير الرجال كثرة مخالطته إياهم وتحدثه اليهم ، وغشيانه المجالس العامة والخاصة . وساعده على تصوير حوادث عصره أنّه كان يُخالط الأمراء والولاة والقضاة ، فيسمع منهم ما يحدث ويجري . وإن سرده الحوادث الكبرى التي وقعت بين طائفة السكبانية وولاة السلطنة ، وتصويره حالة لبنان وأمرائه الإقطاعيين لمن أهم ما كُتب في هذا الموضوع . ولقد سبق البورينيُّ ، مؤرخَ مصر الجبرتيَّ ، بقرنين الى الاهتمام بالحوادث المعاصرة له وسردها سرداً تاريخياً حيّاً . ويصوّر بعض المؤرخين المصريين المعاصرين الجبرتيَّ على أنه المؤرخ الوحيد الذي سجّل حوادث أيّامه في الشرق العربي في القرون الأخيرة . ولعل سبب ذلك عدم اطلاعهم على آثار مؤرخي دمشق في العهد العثماني . وكذلك فاق البوريني صاحبنا الجبرتي بثقافته الواسعة واطلاعه على مصادر التاريخ ، واستقائه الأخبار من مراجعها . فبينا نجد البوريني يصاحب آثار المؤرخين القدامى وينتفع بها ، يعترف الجبرتي أنه ما أُتيح له أن

يطلع على أي تاريخ من تواريخ الماضين ويقول عنها « هذه صارت أسماء من غير مسميات » .

وقد قدّم لنا البوريني بوصفه معاصريه ، ووصفه حوادث عصره ، مواد كثيرة لدراسة الحياة العلمية والاجتماعية والاخلاقية بدمشق في أيامه . وسيبقى تراجم الأعيان من أهم المصادر لدراسة دمشق في القرن العاشر والقرن الحادي عشر ، في نواحيها المختلفة . وقد استمد المحبّي منه كثيراً في تراجمه لأهل القرن الحادي عشر .

## مخطوطات تراجم الأعيان

النسخ المخطوطة التي عرفناها من تراجم الأعيان هي :

١ً - مخطوطة عارف حكمة بالمدينة المنوّرة

٢ً - مخطوطة الجمعية الآسيوية بكلكتا - الهند

٣ً - مخطوطة برلين

٤ً - مخطوطة فينّا

٥ً - مخطوطة دار الكتب المصرية

## مخطوطة عارف حكمة

أما المخطوطة الأولى فمحفوظة في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة بالمدينة المنوّرة برقم ١٨٨ تاريخ . ولدى معهد المخطوطات العربية فيلم عنها اعتمدنا عليه في نشرتنا . تقع في ٣٠٠ ورقة تقريباً . كتبت سنة ١٠٧٨ ﻫ بيد فضل الله بن محب الله بن محب الدين الشامي .

على الورقة الأولى منها ما يلي :

كتاب تراجم الأعيان في ابناء الزمان
تأليف العلامة الفاضل الفهامة بحر العلوم
والعالم بطرق المنطوق والمفهوم فخر
المتأخرين وزبدة المتقدّمين
مولانا ابو (كذا) الضياء حسن البدري
بدر الدين البوريني الشافعي
الأشعري القاري ( كذا )
لطف الله به

ويبدأ النص فيها بعد البسملة بما يلي : الحمد لله الباقي وما سواه فان ..

أما خاتمتها فهي :

« يقول العبدُ الفقير فضل الله بن محب الله بن محب الدين الشامي كان الله تعالى له حافظاً وحامي ( كذا ) :

هذه خدمة تضاعف عليه بها مزيد النعمة . ولعمري هي شرف خادمها وفخر جامع هذه التراجم وراقمها . كيف لا وهي بأمر وحيد دهره سؤددا وعُلا . نسيج وحده اشتمالاً على الفضائل واستيلا . الذي يضيق نطاق كلّ بليغ عن إحصاء بعض أوصافه وعلومه . بل كلّ منطيق على أن يعبر بعبارة تفصح عن منطوق كلامه ومفهومه . فرد الوجود في الفضل والجود . وليّ نعمتي . المولى شيخ محمد عزّتي . حفيد شيخ الاسلام المرحوم زكريا ابن بيرام . بلّغه الله تعالى أطول الأعمار . وحرسه بالملائكة الأبرار . وقد قابلت ما أُمرتُ به بالقبول . وبذلتُ فيه مجهودي . ولم آل جهدا في تحصيله وجعلتُه مقصودي . ولو قدرتُ جعلتُ الورق من جلدي . بل من صحن خدّي . والقلم من بناني . والمداد من ماء أجفاني . لـكان ذلك قليلًا في جنب ما أمر به وطلبه . ومن عبده وداعيه تطلّبه . وقد تقيّدتُ بجمعه من سبع مجاميع ، ولم يتيسّر جمع الجميع . فإنه مفقود . بل ليس له وجود . فإنّ بعض الأعيـان . لم يترجمهم المؤلف المرحوم الشيخ الحسن البوريني الشامي علاّمة الزمان . والبعض كان في هذه السنين . بزوايا الجبايا ( كذا ) كمين . فأبقى الله تعالى مدى الأيّام مَنْ كَتبتْ هذه النسخة باسمه ، ووسمتْ بشريف وسمه . كما كان السبب في إحياء اسماء هذه الساده . ونشر ما انطوى من أخبار تلك القاده . بجاه خاتم الانبياء . ومبلّغ الانباء . ما ختم كتاب . وسحّ سحاب .

وكان الفراغ من مباشرة ترتيبه وكتابته وتهذيبه في أوائل رجب المرجّب سنة ثمان وسبعين وألف من هجرة سيد الأنام . عليه أفضل الصلاة والسلام . آمين .

فيتبيّن أنّ النسخة قد جمعها من سبع مجاميع فضل الله المحبّي .

وفضل الله هذا هو أبو الأمين المحبّي صاحب خلاصة الأثر . وكان له معرفة بالأدب والتاريخ . ترجم له ابنه ترجمة طويلة [1] . وقد ذيّل على تراجم الأعيان . ولم نطّلع على ذيله . وتوفي سنة ١٠٨٢ هـ / ١٦٧١ م ، أي بعد أربع سنوات من جمعه تراجم الأعيان .

ولم يذكر بروكلمن نسخة المدينة هذه .

## مخطوطة الهند

أما المخطوطة الثانيــة فهي محفوظة في خزانة الجمعيّة الآسيوية « Asiatic Society » بالهند ـ كلكتّا . ولدى معهد المخطوطات فلم عنها كان اشتغالنا عليه . وتقع في ٢٣٥ ورقة . كتبت في القرن الحادي عشر تقريباً ، وليس عليها اسم الناسخ .

على الورقة الأولى منها ما يلي :

تراجم الأعيان من أبناء الزمان
للشيخ الفاضل والجهبذ الكامل ، أديب عصره
ووحيد دهره أبي الضيــاء الحسن
بدر الدين ابن محمد البوريني
الشافعي رحمه
تعالى

---

(١) المحبي ، خلاصة الأثر ٣ / ٢٧٧ .

ويبدأ النص فيها بعد البسملة بما يلي : الحمد لله الباقي وما سواه فان ...

أما خاتمتها فهي :

هذا آخر ما وُجد من تاريخ العلاّمة الأديب الشيخ بدر الدين حسن البوريني الشافعي المسمّى بتراجم الأعيان من أبناء الزمان . ملفّقاً من مسوّدتي التاريخ المذكور المؤلف احداهما برسم محمد باشا المنجكي ، والأخرى برسم محمد أمين الدفتري . فربما وجد فيه مخالفة لما يقع منقولاً في بعض المجاميع عن التاريخ المذكور لكونه منقولاً عن إحدى مسوّدتيه فقط . والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم » .

فيظهر انّ هذه النسخة جمعها كاتبها من مسوّدتين للتاريخ كتبت الأولى برسم الدفتري الذي ذكر البوريني اسمه في مقدمة كتابه ، والثانية برسم محمد المنجكي . وكان أحد الأمراء الذين اتصل البوريني بهم وأفاد منهم . وقد ترجم له ترجمة طويلة وأثنى عليه .

ولم يذكر بروكلمن هذه النسخة أيضاً .

## مخطوطة برلين

والمخطوطة الثالثة كانت محفوظة في مكتبة الأمّة في برلين برقم 9889 وكان المغفور له الأستاذ محمد كرد علي صوّر منها نسخة لخزانة المجمع العلمي العربي قابلنا عليها . وتقع في ٣٨٠ صفحة . كتبت سنة ١٠٧٨ هـ بيد ناسخ المخطوطة الأولى فضل الله بن محب الله بن محب الدين .

على الورقة الأولى منها :

تراجم الأعيان من أبناء الزمان
لعلاّمة دهره وأوانه وفهّامة عصره
وزمانه الحسن البوريني الشافعي
الأشعري القادري تغمّده الله
تعالى برحمته وأسكنه بكرمه
فسيح جنّته . جمع الفقير فضل
الله ابن محب الله ابن
محب الدين عفى الله
تعالى عنهم بفضله
أجمعـــين
آمين

ويبدأ النص فيها بعد البسملة بما يلي : الحمد لله الباقي وما سواه فان ...
أما خاتمتها فهي كخاتمة نسخة عارف حكمة تماماً :

« يقولُ العبـد الفقير فضل الله بن محب الله بن محب الدين الشامي ، كان الله تعالى حافظاً له وحامي ( كذا ) ...

« ... وقد تقيّدتُ بجمعه من سبع مجاميع ، ولم يتيسّر جمع الجميع ، فإنه مفقود ، بل ليس له وجود ...

« ... وكان الفراغ من مباشرة ترتيبه ، وكتابته وتهذيبه ، في أوائل رجب المرجّب سنة ثمان وسبعين وألف من هجرة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام . »

وكُتب في آخره :

« الحمد لله على جزيل نعمائه . هــذا التاريخ اللطيف من جملة كتب الفقير مصطفى بن السيد علي الحموي الدفتري بدمشق الشام . »

## مخطوطة ڤينّـــا

أما المخطوطة الرابعة فهي محفوظة بمكتبة ڤينّا برقم 1190 ولم نطّلع عليها . وقد جاء وصفها في فهرس مخطوطات ڤينّا كما يلي :

تقع في ١٥٥ ورقة . كتبت بخط نسخي . كتبها مصطفى بن محمد ابن أحمد الكنجي . برسم نقيب السادة الأشراف السيد حمـــزة افندي العجلاني بتاريخ ١٢ جمادى الثانيـة سنة ١١٨٥ هـ / ٢٢ ايلول ١٧٧١ م والنص فيهـــا يبتدىء كما يلي : الحمد لله الباقي وما سواه فان ... وعدد التراجم فيها ١٩٤ ترجمة (١) .

## مخطوطة دار الكتب بالقاهرة

والمخطوطة الخامسة محفوظة بدار الكتب بالقاهرة برقم ٥٧٦ تاريخ . تقع في ٣٩٦ صحيفة . كتبها السيد احمد بن احمد الجزائري ، ونقلهـــا من النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بالمدينـــة المنورة . وليس على النسخة تاريخ النسخ . ومن المرجح أنها من أواخر القرن الثالث عشر أو أوائل الرابع عشر . وقـــد توفي شيخ الإسلام سنة ١٢٧٥ هـ .

---

(١) انظر :

Flügel. G, *Die arabischen, persischen und türkischen Hanschriften der K. K. Hofbibliothek zu Wien*, Vienne, 1865 — 1867, No 1190

## دراسة المخطوطات

إن دراسة مخطوطات تراجم الأعيان تثير بعض المشكلات وكثيراً ما تظهر هذه المشكلات عامة لدى المحققين أثناء اشتغالهم بالنشر، لكنهم يتغافلون عنها أكثر الأحايين .

فخواتم النسختين المخطوطتين في المدينة والهند ــ وهما أقدم النسخ الموجودة لدينا ، كتبتا في عصر المؤلف نفسه ــ تدلنا كيف جمع تاريخ البوريني بشكله الذي وصل الينا . فقد جمع نسخة المدينة ورتبها المحبّي من سبع مجاميع ، لا ندري عنها شيئاً . وهذه المجاميع السبع لم تشتمل على التراجم كلّها ، لأن المحبّي يقول : « ولم يتيسّر جمع الجميع فإنه مفقود » . أما نسخة الهند فلا نعرف مَن الذي جمعها ، ولكن نعلم من خاتمتها أنها جُمعت من مسوّدتيْ التاريخ المكتوبتين برسم المنجكيّ والدفتري . ويظهر أن البوريني كتب مسوّدتين : واحدة لهذا ، وثانية لذاك . وجعل كلّ مسوّدة تزيد أو تنقص عن الأخرى . لكنّ مخطوطة الهند تضمّ ما في المسوّدتين معا .

وهكذا نرى أنّ كلاً من الجمعَيْن ليس من عمل البوريني نفسه .

إنّ اختلاف مصدر هاتين النسختين : نسخة المدينة ونسخة الهند ، سبّب اختلاف شكل التراجم فيها ، وزيادة بعض التراجم في الواحدة ونقصها في الأخرى كما سبب اختلاف ترتيب التراجم ايضاً .

فنحن نرجح أنّ نسخة الهند تضمّ التراجم كما كتبها البوريني أوّل مرّة . فأسلوب التراجم فيها ــ أحياناً ــ مرسلٌ غير مسجّع . وطريقة

كتابة العصر كانت السجع . في حين نجد هذه التراجم نفسها في نسخة المدينة مسجّعة قد نمقت ألفاظها .

ونلاحظ كذلك أن في تراجم نسخة المدينة زيادات قد يكون البوريني أضافها فيما بعد ، كما نجد أخباراً في نسخة الهند ، بعضها في الطعن على المترجم لهم – قد أسقطت من نسخة المدينة .

ونلاحظ ان التواريخ تختلف احياناً في النسختين ايضاً .

الأمر الذي يدفع الى الاعتقاد أنّ البوريني عاد ، بعد كتابة مسوّدتي التاريخ ، فنظر في تاريخه . فنقّح وأضاف وحذف ونمّق وصحّح ، وأنه أعاد كتابة بعض التراجم كلّها ، كترجمة العيثاوي ، أو بعضها ، فوقع كاتب نسخة الهند على مسوّدات التاريخ قبل التنقيح ، ووقع المحبّي على مجاميع بعضها أو كلّها منقح .

ولتوضيح الاختلاف بين النسختين نقدم بعض الأمثلة :

| نسخة الهند | نسخة المدينة |
|---|---|

## ترجمة العيثاوي

| نسخة الهند | نسخة المدينة |
|---|---|
| « وقد عادلتُه في تزوج أخت زوجته ، والأختان بنتا الرجل الصالح الشيخ محمود ابن الشيخ احمد الصناديقي وكان ذلك بإشارته . وصدر العقد بمنزله المعمور بدمشق في محلة حكر كمال الدين . وحصلت جمعية العرس بمنزله المذكور ايضا | « وصدرت منه لطيفة . ذلك أنه اطلع على أني طالب للاحصان ، فقال لي عندي حَصان . وهي أخت أم اولادي . وهما بنتا الشيخ محمود الصناديقي . فإن رُمْتَ أن تكون عديلي ، كما انك خليلي ، فاعزم على ذلك ، واجزم بما هنالك . فأجبته الى سؤآله ، وتقرّبتُ الى كماله |

| نسخة الهند | نسخة المدينة |
| --- | --- |

## ترجمة أحمد العجمي

تبدأ الترجمة في نسخة الهند بما يلي : « كان هذا الرجل في مبتدأ أمره قصّاباً . وكان والده من أرباب الصنائع ونشأ له اولاد منهم احمد المذكور ، هنا . ولما اشتهر امرهم بالقصابة بحمل لحم العمارة السليمانية والسليمية فحملوا ذلك . فنتج حالهم . . .

وتبدأ في نسخة المدينة كما يلي : « هو رجل من الأعيان ، والكرماء ذوي الشان . جمع مالاً غزيرا ، وعقارا كثيرا . اشترى بيتاً عظيماً كان للأمير قانصوه الغزّاوي ، واستمر على ذلك الى أن دخل الى الشام أمير الأمراء مراد باشا حاكما بها ، فولاّه أمانة البهار . . .

## ترجمة ابراهيم بن محب الدين

العنوان : ابراهيم بن محمد بن منصور

العنوان : صاحبنا المرحوم سيدي الشيخ ابراهيم بن محب الدين الدمشقي الاصل والمنشأ والوفاة .

## ترجمة ابراهيم الحلبي

هو ابراهيم الذي ورث الفضائل ، كابراً عن كابر . وروى خبر الفتوى عن جهابذة أكابر ، حجّ في سنة عشرين بعد الألف . . .

هو الشيخ الفاضل ، جامع اشتات الفضائل ، الأصيل العريق ، وارث علوم الأسلاف بالتحقيق ، نتيجة البيت القديم ، صاحب الفضل الجسيم . اجتمعتُ به لما وردتُ الى حلب المحروسة في سنة سبع عشرة بعد الألف . . .

# نهج التحقيق

اسقطنا في مقابلات النسخ نسخة دار الكتب لحداثتها ولوجود الأصل الذي نقلت عنه .

واعتمدنا على ثلاث مخطوطات : نسخة المدينة ، ونسخة الهند ، ونسخة برلين .

١ً – فاتخذنا نسخة المدينة أمّاً

٢ً – عارضناها بنسخة الهند ونسخة برلين

٣ً – أضفنا التراجم الساقطة من نسخة المدينة ونبهنا الى ذلك

٤ً – ما حذف من عبارات في نسخة المدينة وُوجد في نسخة الهند أو برلين أضفناه بين [ ] وأشرنا اليه .

٥ً – ما كان ساقطاً من نسخة الهند ونسخة برلين وكان موجوداً في نسخة المدينة جعلناه بين خطين قائمين | | ليُعرف ما أضافه البوريني بعد كتابه مسوّدة التاريخ .

٦ً – اذا اختلفت التراجم تماماً أثبتنا نصّ نسخة المدينة ، واردفنا به بحرف أدقّ نص نسخة الهند .

٧ً – اذا اختلفت عبارات بعينها أثبتنا نص نسخة المدينة وذكرنا في الحاشية عبارة نسخة الهند .

٨ً – اذا اختلف ترتيب النص في النسخ ، اثبتنا ترتيب نسخة المدينة ونبهنا أن في الترتيب اختلافاً .

٩ً – اذا اختلفت الألفاظ في النسخ اثبتنا أصوبها وأحسنها موقعاً ، وراعينا أن نحافظ أغلب الأحيان على نص نسخة المدينة .

١٠ً – لمّا كان ترتيب التراجم يختلف في نسخة الهند ونسخة المدينة فقد اثبتنا ترتيب نسخة المدينة .

١١ً – صححنا بعض أخطاء الرسم دون أن نشير الى ذلك .

١٢ً – اثبتنا اختلاف النسخ . وكثير منه لا يرجع الى النسّاخ بل جاء كما نعتقد من المؤلف نفسه .

١٣ً – عُنينا بالأماكن المتعلّقة بدمشق ، التي وردت في النص ، فدللنا عليها أو أحلنا على المراجع التي تحدّدها .

١٤ً – اتبعنا النص بملاحق وفهارس متنوّعة .

## شكر

ونختم هذه المقدمة بشكر معالي الاستاذ الجليل خليل بك مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي الذي اهتم بهذا الكتاب ، وقدّره حق قدره ، وتكرّم فجعله في مطبوعات المجمع . وقد تلطّف فعرضنا عليه القصائد الواردة في هذا الجزء وأفدنا من ملاحظاته .

والشكر للصديق الاستاذ عبد الهادي هاشم الذي بذل لهذا الكتاب الكثير من عنايته ، وأشرف على تصحيح تجارب طبعه ، بسبب غيابنا في القاهرة .

ولئن استطعنا اخراج هذا الكتاب ، فالفضل في ذلك راجع الى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية الذي وجدنا فيه مخطوطتي المدينة والهند ، ولولاهما لما استطعنا أن نعمل شيئاً .

# الرموز

م نسخة المدينة (خزانة عارف حكمة) . وقد نرمز اليها بحرف «ص»

هـ نسخة الهند ( مكتبة الجمعية الآسيوية )

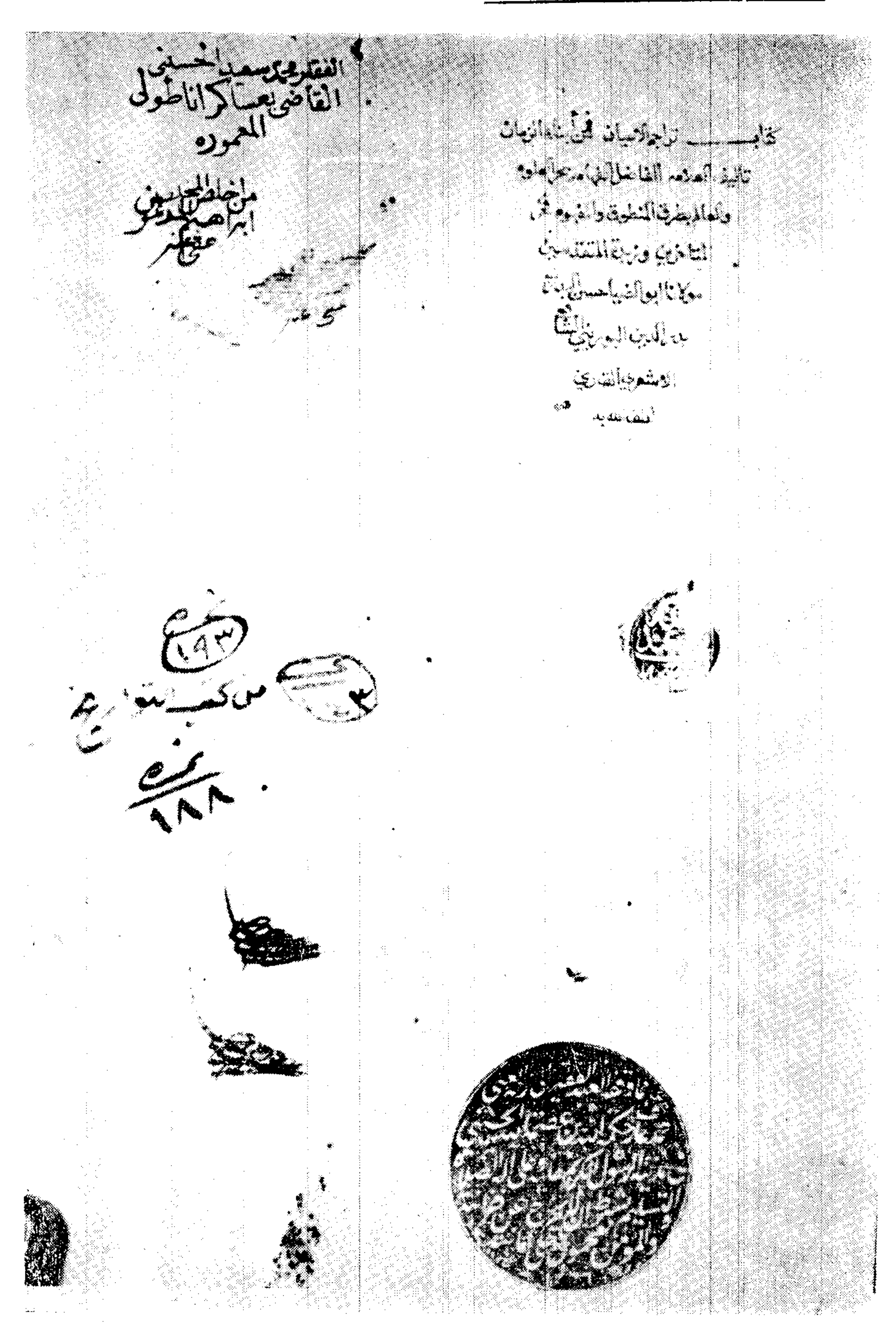
ب نسخة برلين ( مكتبة الأمّة )

[ ] بينهما ما أضيف الى نسخة المدينة من النسخ الأخرى

| | بينهما ما سقط من نسختي الهند وبرلين

< > بينهما ما أضفناه من عندنا من حرف او لفظ أسقطه الناسخ سهواً .

اللوح رقم ١ - تراجم الأعيان



الورقة الأولى من مخطوطة مكتبة عارف حكمة بالمدينة

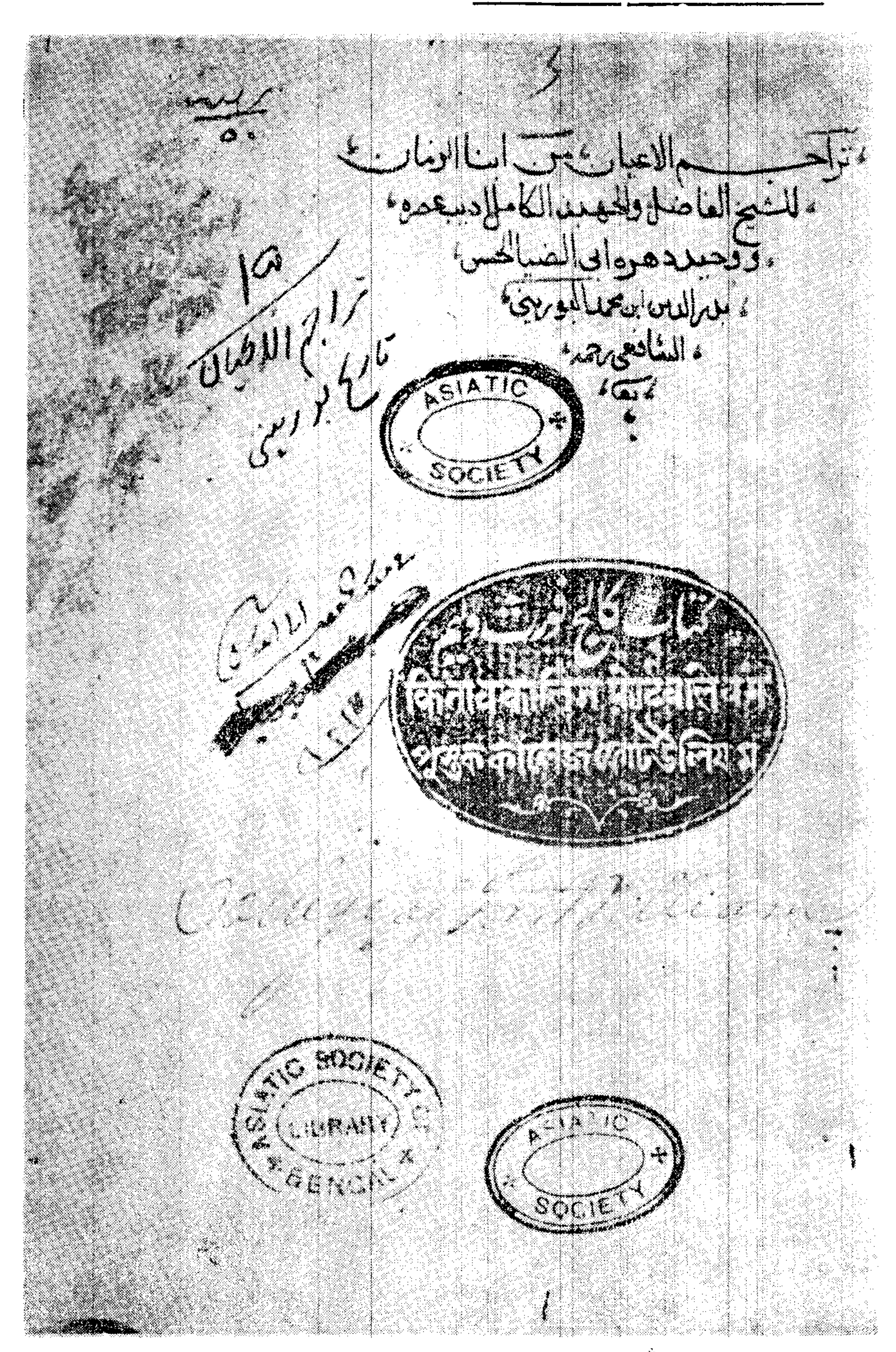
يقول العبد الفقير فضل الله بن محب الله ابن محب الدين الشامي ... كان الله تعالى له حافظا وحاميا هذه خدمة تضاعف عليه بها مزيد النعمه ولعمري هي شرف خادمها وفخر جامع هذه التراجم وراقمها كيف لا وهي باسم وحيد دهره سوددا وعلاه نسيج وحده اشتمالا على الفضايل واستيلاه الذي يضيق نطاق كل بليغ عن احصا بعض اوصافه وعلومه بل كل منطيق على انه يعبر بعبارة تفصح عن منطوق كلامه ومفهومه فرد الوجود في الفضل والجود وولي نعمتي المولى شيخ محمد عزتي حفيد المولى شيخ الاسلام المرحوم زكريا ابن بيرام بلغه الله تعالى اطول الاعمار وحرسه بالملايكة الابرار وقد قابلت ما امرت به بالقبول وبذلت فيه مجهودي ولم آل جهدا في تحصيله

وجعلته مقصودي ولو قدرت جعلت الورق من جلدي بل من صحن خدي والقلم من بنانى والمداد من ما احفا فى لكان ذلك قليلا في جنب ما امر به وطلبه ومن عبده وداعيه تطلبه وقد تقيدت بجمعه من سبع مجاميع ولم يتيسر جمع الجميع فانه مفقود بل ليس له وجود فان بعض الاعيان لم يترجمهم المولف المرحوم الشيخ الحسن البوريني الشامي علامة الزمان والبعض كان في هذه السنين بزوايا الخبايا كمين فابقى الله تعالى مدى الايام من كتبت هذه النسخة باسمه ووسمت بشريف وسمه كما كان السبب في احيا اسما هذه السادة ونشر ما انطوى من اخبار تلك القادة بجاه خاتم الانبياء

من مبلغ الانبا ما ختم كتابت ونسخ كتابه

وكان الفراغ من مباشرة ترتيبه وكتابته وتهذيبه في اوايل رجب المرجب سنة ثمان وسبعين والف من هجرة سيد الانام عليه افضل الصلاة والسلام

خاتمة نسخة عارف حكمة بالمدينة




الورقة الأولى من مخطوطة مكتبة الجمعية الآسيوية بالهند



الى في قتاله تاريخ صحيب دم الدجال اهـ الشريف
هذا اخر ما وجد من تاريخ العلامة الاديب الشيخ
بدر الدين حسن البوريني الشافعي المسمى بتراجم
الاعيان من ابناء الزمان ملفقا من مسودتي
التاريخ المذكور للمؤلف احدهما برسم
محمد باشا المنجكي والاخرى برسم
محمد ابن الدفتري وغيرها
وجد فيه مخالفة لما
يقع منقولا في
بعض المواضع
عن التاريخ
المذكور
كله منقولا عن احدى
مسودتيه فقط
والحمد لله وحده
وصلى الله على
سيدنا محمد
وآله وصحبه
وسلم



خاتمة مخطوطة الهند

سنة ثمان وتسعين والف من هجرة سيد الانام عليه افضل الصلاة والسلام

خاتمة مخطوطة برلين

من نظم كاتبه حسن البوريني

بحق منظوم ودمشقنا باكا  دمشقنا فاتي عبده من رعاياكا
يا ناسيا عهدنا الماضي بذي سلم  مهلا فان فؤادي لم ينس [illegible]اكا
[illegible] الشامتين بنا  هذا وعلمي طول الدهر مرعاكا
مولاي لو شاهدت عيناك حال أخي  بلبال الهموم ومن شق [illegible]اكا
ان كان اضحاك بالهجر ان ذو اذ ب  من ذا الذي [illegible]اكا
اما ذكرته من ليل يبيت به  يرعى النجوم حزين القلب [illegible]اكا
يا مالكي بجميل كنت اعهده  حاشاك تبدل لي [illegible] حاشاكا
يا حاكما في الهوى [illegible] فبحكمك لا  تجر [illegible] في الناس [illegible]اكا
[illegible] لقوم لا خلاق لهم  ما كنت اعرفهم في الدهر لولاكا

بالطبي عهده و

امام الحسن في

قلت عند مسير ركب الحجيج ليلة السبت من شهر شوال [illegible]
وارسلتها لتلقى في الحجرة الشريفة على ساكنها افضل الصلوة والسلام

خليلي بالود القديم تحملا  سلامي الى ذاك الجناب المعظم
اذا جئتما ارضا بها السعد والهنا  ونيلا المنى والعفو عن كل مجرم
وبلغتما ما تقصدان بزورة  لقبر النبي الهاشمي المكرم
فقولا بارض الشام عبد مقصر  اقام عليها للاسى والتندم
اسير [illegible] انت احسن مقصد  جريح فؤاد دامت [illegible]
تقدم بيت الصبر منه تشوقا  و[illegible] الحب عبر [illegible]
اقام بارض الشام لكن بجسمه  [illegible] الشوق للنبي
اروحكم يا خير [illegible]  اذا اصبحت في قبر من الضيق مظلم
وارجوكم يا غوث العباد بموقف  يجوز [illegible] فيه كل معظم
فكن مسعدي في يوم بعث ومسعدي  وكن منقذي [illegible]
عليك سلام الله ما رام ذا زمن  مسير الى [illegible] زمزم

انموذج من خط الحسن البوريني مأخوذ من كنّاشه